

المدرسة الروسية الابتدائية في بسكنتا بلبنان؛ حيث درّس ميخائيل نعيمة. ثم عاد بعد ذلك الى حيفا، ومارس التعليم مدرساً للغة العربية في مدرسة المطران الانكليزية في القدس حتى عام ١٩٤٥؛ حيث أُحيل على التقاعد. وبعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، هاجر إلى عمّان بشرق الأردن، ومكث فيها فترة انتقل بعدها الى بيروت؛ حيث توفي فيها عام ١٩٤٩.

تأثر خليل بيدس بسنوات دراسته في دار المعلمين الروسية التي أمضى فيها ست سنوات؛ إذ «كانت الدروس تلقى بالروسية، ما خلا اللغة العربية وأدبها والتاريخ العام، والتعليم المسيحي»^(٦). ومن الطبيعي أن تهتم هذه المدرسة بتدريس اللغة الروسية والأدب الروسي على أيدي معلمين من الروس، أو من العرب الذين تخرجوا من معاهد روسيا، كما يبدو من حديث ميخائيل نعيمة، الذي التحق بالمدرسة عام ١٩٠٢، أي بعد تخرج خليل بيدس منها بخمس سنوات تقريباً. يقول ميخائيل نعيمة^(٧) عن جو المدرسة الذي كان قد تأثر به أستاذه خليل بيدس من قبله.. «... ما إن تمكنت إلى حد ما من قواعد اللغة الروسية، وحفظت قسطاً لا بأس به من مفرداتها، حتى انطلقت أطلع في المجالات الروسية التي كانت تصلنا، واقتحم كتاباً من عيار ديستوفسكي وتولستوي... إلا أن مطالعاتي الروسية، وإن تركت في قلبي غصةً بسبب نقص معارفي اللغوية، لم تلبث ان أثارت إعجابي بالأدب الروسي، وحسرتي على الأدب العربي بالنسبة اليه، فقد تكشف لي فقرنا الفاضح إلى أدب ينبع من الحياة وأدباء لا يتلهون بالقشور عن اللباب. ومن بعد أن كنت أحسد الكثير من أدبائنا وشعرائنا المعروفين في ذلك الزمان وأتمنى لو أكون كواحد منهم، بت أحجل بهم وأتمنى لو أستطيع أن أكتب كما يكتب هؤلاء الروس». إن هذا الجو الذي عاشه خليل بيدس، قبل تلميذه ميخائيل نعيمة، جعله يوجه عنايته نحو الأدب الروسي بالذات، مكرساً مجلته «النفائس» إلى نقل روائحه إلى اللغة العربية وقرائها. وقد أثرت المدارس الروسية وأساتذتها الروس في إشاعة هذا الجو الذي أوجد العديد من الفلسطينيين الذين يترجمون عن الروسية ويعرفون بالأدب الروسي*. كما قامت هذه المدارس التي كانت منتشرة في أنحاء فلسطين وبلاد الشام بلفت الأنظار الى الأدب والثقافة الروسية، والرواية بشكل أساسي، وبالتالي أثرت في نشأة الرواية الفلسطينية معتمدة على نظيرتها في الأدب الأوروبي؛ إذ «لم يكن بإمكان التراث القديم، على ما فيه من روعة وطرافة وأصالة، أن يرضي حاجات البورجوازية الجديدة النامية، أو يتلاءم معها. إنه يعبر عن مجتمع من القرون الوسطى، وعن مثل في الحياة متصلة بأنماط من الحكم وعلاقات في الاقتصاد والمجتمع بدأت في الاضمحلال، وبدأ التطور الاجتماعي يقود إلى غيرها»^(٨).

* من هؤلاء، غير بيدس، انطون بلان. وقد ورد في مجلة النفائس، الجزء السابع من السنة الرابعة لعام ١٩١٢، أنه عرّب عن الروسية رواية اسمها: «في سبيل الحب». كما أنه من المعروف أن نجاتي صدقي عرّف بأعلام الأدب الروسي فنشر، في سلسلة «اقرأ» الصابرة عن دار المعارف بمصر كتاباً عن كل من: بوشكين عام ١٩٤٥ وتشيكوف عام ١٩٤٧ وغوركي عام ١٩٥٦.